

إلى الليل، وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية ، فلما بايع الناس أمر القبائل أن يأتوا مع إخوانهم ، فلما وصلوا خرج الخليفة نحو تازاكورت ، فكسر بها يد بن ولكوط وأقبل بغنائمها .

وبعد خروج الخليفة من تينملل ارتد عبد الله بن ملوية وهبط إلى علي بن يوسف فدفع له عسكرياً وأقبل به إلى كنفيسة لموضع يقال له تامدغوست (77) ليصعد لتينملل ليهدمها ، وكان بها عبد الله بن وسدرن ، فضم كنفيسة فقالوا له وأين العهد الذي بيننا وبين المهدي ؟ فقام الشيخ أبو سعيد يخلف بن الحسن أتيكي والغلام الذي كان له وقتلاه وأتيا به نحو تينملل وصلبها بها ، فبلغ خبره للخليفة فطرق حتى وصل تينملل فوجده مصلوباً فحمد الله وأثنا عليه وشكر ذلك الفعل لكنفيسة ، وهو أول نائر نار على هذا الأمر العزيز أمنه الله وخلده مما يشوبه ، فقسم الغنائم ومضا يستولى مع صنهاجة إلى بلادهم ، وكان الخليفة أركن في الطريق رجل منهم فأحس منه غيرة وخدعة عليه ثم أرسل إليه وأقبل في خاصته ، فلما وصل قتله وألحق بمكره وصلب بتينملل وولاً علي بن ناصر على صنهاجة .

باب نذكر فيه

غزاة تالكووط متاع حاحة

وكيف اجتمع الخليفة من الأبرير وتاشفين وقتح الله في غنائمهم

فلما أقبلنا حُصِرنا بموضع يقال له تيزغور ستين يوماً حتى أكلنا غنائمها ، ثم بعد ذلك قالوا لنا اصعدوا في السماء أو غوصوا في الأرض ، فرد لهم الخليفة ، (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) أو قال (يجعل له من

(77) مدغوسة والتلحة تامدغوست مكان معروف إلى اليوم بين بني شعيب (قيادة مزميز) من إقليم مراکش .

أمره يُسْرًا) ، ثم أمرنا بالهبوط فهبطنا وتجارينا معهم حتى هزمونا أول النهار ، وهزمناهم آخر النهار ، وأخذنا لهم بنداً أحمر ، وكان قتالنا يوماً وليلة وخرجنا على حتى وصلنا تينملل ورجع تاشفين (78) إلى مراکش خاسراً والأبرير (79) مجروحاً خاسراً هو والحزب الباطلي ، ردهم الله ببغيهم ولعنهم بما قالوا ، والله الذي يرد كيد الخائنين .

باب نذكر فيه

التقاء الخليفة مع الأبرير بموضع

يقال له أمسميص (80) متاع كدميو

ثم رجعنا ورجع بعد ما رد الله كيده في نحره ، ثم أراد الخروج فبلغ ذلك الخير للخليفة فخرج .

(78) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أمير المسلمين ثالث سلاطين الدولة المرابطية ، كان بطلا عظيماً ذا نجدة وحزم ودين ، ولاه أبوه على جهات من الأندلس فنظر في مصالحها وطور في حروبها على التصار فذاع صيته وحسن ذكره فغار منه أخوه الأمير سير بن علي ولي العهد ففاوض أباهما في شأنه فاستقدمه إلى مراکش فصار من جملة من يتصرف بأمر أخيه سير ويقت ببابه كأحد حجابيه ، ولما توفي أخوه أسندت إليه ولاية العهد باستفتاء شعبي يوم الثلاثاء 13 دجنبر سنة 1138 م (8 ربيع الثاني عام 533 هـ) ففضا أيام ولاية العهد في محاربة الموحدين . ولما مات أبوه السلطان على يوم الأربعاء 26 يناير 1143 م (7 رجب 537 هـ) صار إليه الأمر والدولة في ادبار ، وما زال يصارع الموحدين ويصارعونه حتى صرع بوهران ليلة 23 مارس 1145 م (27 رمضان 539 هـ) تنظر ترجمته المفصلة في الإحاطة 1 : 454 .

(79) الأبرير Reverier كان هذا القائد في الأول نصراً من قواد أمير برشلونة وأراكون ، ثم وقع في أسر الأميرال علي بن ميمون قائد الأسطول المرابطي فنقله إلى مراکش حيث أسلم وأخلص الخدمة للسلطان علي بن يوسف بن تاشفين وأبلا البلاء الحسن في محاربة الموحدين الخارجين عليه إلى أن قتل في معركة جرت ضدهم سنة 539 هـ وكان له ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وصار من خيرة قوادهم ، واليه يرجع الفضل في طرد بني غانية من جزيرة ميورقة وإعادةها إلى الدولة الموحدية . وقد قتل على هذا في أحد المعارك التي جرت سنة 583 هـ .

(80) أمسميص : هي قرية مزميز الحالية بإقليم مراکش .

باب نذكر فيه

غزاة أكظورور

خرج سيدنا أمير المؤمنين حتى وصل أكظورور، فنقاتل بها مع الشقي الأبرتر، فهزمه الموحدون حتى ما بقي من رجاله شيء، وخرج الشقي الأبرتر مجروحاً، ثم رجع نحو مراكش، ورجعنا نحو تينمل، وذلك عام خمسة وثلثين وخمسة.

باب نذكر فيه

غزاة موضع يقال له تينلين

وذلك أن الخليفة أمرنا بالخروج فخرجنا حتى وصلنا تينلين متاع يركين بن ويدرن، فلما وصلنا مع الخليفة حصرناه حتى همنا بأخذه، فاشتد بيننا وبينهم الأمر، فبقينا عليه ثلاثة أيام، فوصل الأبرتر بعسكر، فقلعنا عنها لجانب السوس، وأقبلنا على أنفك متاع أمسكروطان فبينما بالطين والحجر والشطب (81) فلما وصل الأبرتر ونظر إليه رجع وهبطنا نحو السوس بعسكرنا فكسرنا أبر مناد مبيون، ثم كسرنا تاسلولت، ثم كسرنا تارودانت، ثم كسرنا تيمونوين وكان بها صالح بن سارة، ثم كسرنا إيكي وسقنا غنائمهم وأفسدنا لهم أمزكور (82) ووجد الفلاكي (83) هو وأصحابه،

(81) إحصان الأشجار في العامية المغربية.

(82) أمزكور: الذرة بالشلحة.

(83) الفلاكي: كان الفلاكي من قطاع الطرق بالاندلس، ثم استماله السلطان على بن يوسف المرابطي وضمه إلى عسكره وصيره من قواده، وأسند إليه مهمة بناء سلسلة من الحصون لحماية المنطقة القريبة من مراكش، وقد انضم الفلاكي إلى الموحدين ثم عاد إلى المرابطين ثم انضم مرة ثانية إلى الموحدين في إيكي مرة وفقد على عبد المؤمن بن علي في تينمل سنة 535 هـ.

ورجعنا نحو تينمل بالغنائم والفتح، فجعل الأمير قراراً للنساء، وأقبل الأبرتر على تيغياين وحمل النساء وحمل في جملتهم زوجة يعزاً بن مخلوف، ثم تكلمت تاماكونت وقالت يا قوم هنا أمير المؤمنين، قالوا لها نعم، قالت يا أمير المؤمنين أشفع والدي يينتان بن عمر في المهدي؟ قال لها صدقت أنت مطلوقة، قالت له وهل يصح أن أطلق وحدي من أربعئة رأس، فقال لها صدقت وأمر باطلاقهن وأزعجهن في كرامة حتى وصلن مراكش، فلما وصلن أخذ علي بن يوسف زوجة يعزاً بن مخلوف ومن كان معها من الغنائم وبعتهن في أمن ودعة وكرامة حتى وصلن، فقال الخليفة أمير المؤمنين إنما أعمالنا ردت علينا، ونحن قوم لا نعمل على هتك العرض.

باب نذكر فيه

خروج الخليفة للغزو

إعلم يا أخي أنه لما خرج سيدنا الخليفة أمير المؤمنين للغزو خرج من تينمل على ناحية الشرق، ونزلنا بها بموضع يقال له وانزال، ومنه لموضع يقال له وفاد (84)، ومنه لموضع يقال له أشبار، فلما سمع تاشفين بنا نزل بأشبار ونحن بموضع يقال له تاساوت (85)، ثم منه لموضع يقال له دمنات (86)، وقام تاشفين ونزل على يمسكولو، ثم قمنا منه لموضع يقال له بنز

(84) وفاد لعله المكان السما بالشلحة وفادن الكائن بين بني واكوسيت من قبيلة مسفيوة.

(85) تاساوت: اسم رافد مهم من روافد نهر أم الربيع، ينبع من مكانين مختلفين بالأطلس الكبير: تاساوت التحتية من جبل غات وتاساوت الفوقية أو الوادي الأخضر من جبل مكن، ثم يلتقيان بين دمنات وقلعة السراغنة ويكونان حينئذ نهرًا واحدًا يدعى تاساوت فقط. وتكون تاساوت التحتية سائبة السلطان التي بنيت في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام (1828 - 1859) والتي يوجد مبيتها قرب زاوية تاكلاوت.

(86) دمنات: مدينة شهيرة تقع إلى الشرق من مدينة مراكش على بعد 127 كلم، وتعمل 961 م على سطح البحر.

نصر وتاشفين بكوية ، ثم قمنا نحو الفلّ متاع كوية ، فخرج الشيخ أبو حفص عمر أينتي بعسكر رجالة دون خيل ، فغنم ورجع ، ثم قلعنا منه لموضع يقال له واويزغت (87) ساق لنا فيه صنهاجة المروّة (88) وتاشفين بموضع يقال له موران يغياي ثم التقا الجيش بالجيش بموضع يقال له تيزي ، فهزمتنا الفئة الباغية ، فأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

ثم هبطنا لموضع يقال له تاكرارت (90) متاع داوود بن عائشة ، ثم خرج منا جمع فاكل تاكرارت ، فأقبل بغنائها ، ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي (90) ، وكان بها علي بن ساقطرا فلما وصلنا بقربها هرب فغنمنا داي ، فتكلمت صنهاجة وقالوا له ياأمير المؤمنين ، ردّ صنهاجة ، فانهم كلهم موحدون ، فردهم حاشا والدّة السيد أبي سعيد ، ثم قلعنا منها لويقيفن ، ثم منها لمكدار ، ثم منها نحو تين طوين ، ثم منها نحو تيزي متاع تاكرارت ، فالتقينا بها يحيى بن ساقطرا وهزمناه وأخذنا خيله وأعطاها أمير المؤمنين لصنهاجة ، ثم منها لموضع يقال له واوّا ، فالتقينا به يحيى بن سيركان بالقلعة (91) فتقاتلنا معه وانصرف كل منا عن صاحبه ، ثم سرنا نحو آزرو (92) ، فهرب منا أخوه علي إليه ، فدخلنا آزرو وسكننا به وأخذ الخليفة أم عبد الله .

ثم تقاسم العسكر على أعداد ، خرج ابن زكّولبني كانون ، وخرج آخر لتيظاف فوجد آيت سدرات ، وبنو آمرّسال ، وأهل ملوية ، ثم رجع

(87) واويزغت : قرية شهيرة مطلة على بحيرة سد بين الويدان ، تبعد 27 كلم عن مدينة بنى ملال الى الجنوب منها .

(88) ما يكرم به الضيف (القرا) .

(89) تاكرارت : لا تزال أطلال هذا المعسكر المرابطي موجودة الى اليوم ، وهي واقعة على بعد 2 كلم من المدوة اليسرى لنهر درنة و 12 كلم الى الشمال من مدينة بنى ملال .

(90) داي : لا تزال بقايا هذه المدينة العظيمة موجودة بالجبال الواقعة بين قسبة تادلة وبنى ملال غير بعيدة عن حصن تاكرارت المتقدم .

(91) القلعة : يريد بها قلعة مهدى قاعدة فازاز التي زعم مؤرخ متأخر أنها قسبة ادخسان القريبة من خنيفرة والتي ربما كانت قرية تمهديت (تمحضيت ؟) .

(92) آزرو : قرية كبيرة واقعة في جنوبي مكناس في الطريق بينها وبين خنيفرة وميدلت .

ابن زكّو نحو آزرو ورجع العسكر كله ، وأخذ الخليفة منهم الأشياء ، وبعث بهم نحو تينملل فقالوا له ياأمير المؤمنين تتركنا للمجسمين ؟ (93) فبعث معهم أمناء حتى وصلوا وزاروا ، ووجد أهل فازاز (94) ونزلوا على القلعة ، وتاشفين بفاس والأبرتير معه ، ثم خرج عسكر من فاس ومكناسة بالميز والغيث ونزلوا على القلعة ، فدخل الشتات بينهم فخرجوا من القلعة هاربين ، ومشى يحيى على الجبل فسلم هو وعسكره ، ومضى ابن ولكوط على طريق مكناسة (95) فهزم وقتل رجاله ، وفتح الله على الموحدين ، والله ذو الفضل العظيم ، وأخذنا غنيمتهم ما راا الراؤون قط مثلها .

ثم قلع الخليفة منها لموضع يقال له تيزرفت متاع بيلورن ، ثم منها لتاسغرت ، وهرب منها ميمون بن صاي ، ووحد بنو أبي غزوان ، ثم منها حتى وصلنا غريس (96) ، ثم رجعنا لموضع يقال له تون كرماط متاع إيلوان فوجد هناك سلام بن حمامة وقبيلته ، ثم وصلنا لموضع يقال له تدغت (97) ، ووجد به آيت علي وسكور ومنكور ووحد موسى بن حماد متاع أسامّرّن آيت سنان (98) فترك بها ابن وطبيب ، ثم منها راجعين لموضع يقال له تيزي (99) متاع تالغمت

(93) المجسمون : كان الموحدون يلقبون المرابطين بالمجسمين ، لأن محمد بن تومرت ألزم فقهاءهم أثناء تنافره وإياهم القول بالذات والمكان .

(94) أهل فازاز : كان لفظ فازاز يطلق في القديم على الجبال الممتدة من جنوب فاس ومكناس الى وادي ملوية ووادي العبيد ، أي جبال الأطلس المتوسط على سبيل التقريب ، وقد اضمحل هذا الاطلاق الواسع من زمان ، ولم يبق اليوم يسما بفازاز الا مكان بتلك الجبال يبعد عن مكناس جنوباً بنحو 100 كلم ، ويسما اليوم بأهل فازاز بطن من قبيلة المصاغرة الزمورية .

(95) المراد هنا مدينة مكناس (مكناسة الزيتون) لا قبيلة مكناسة المستقرة بأقليم تازة .

(96) غريس : اسم أرض وجبل ونهر شهير بأقليم قصر السوق قاعدته كوليمة الواقعة على الطريق الذي يربط مدينة قصر السوق بمدينة ورزازات ، ويسكن هذه الأرض عدد من القبائل ، أكبرها مرغادة ، وغريس ، والعرب .

(97) تدغة : اسم أرض واقعة بين وادي غريس ووادي مدغاس أحد روافد وادي درعة .

(98) بشى سنان : آيت سنان بالشلحة بطن من قبيلة أهل تدغة .

(99) تيزي تالغمت : أي كدية النافة بالعربية مكان عال جداً بجبال الأطلس يبلغ علوه 1907 م فوق سطح البحر ، يقع في الطريق بين مكناس والرفود على بعد 219 كلم إلى الجنوب من المدينة الأولى ، لا بد للمسافر بينهما من الاجتياز به والمروء عليه .

ثم منه لموضع يقال له زين (100)، وهو ليحيا بن محمد، فخرج إلينا أبو بكر بن صارة من سجلماسة (101)، فاجتمعنا معه بايغرم متاع واطوب فرجع ورجعنا.

خروج الخليفة للغزو إلى المغرب

ثم هبطنا نحو المغرب، فنزلنا بنوليس، ثم منه بتاغريرت متاع بني وابوط، فخرج من الموحدين عبد الرحمن بن زكو في خمسة أيام من المحرم وضرب يوم عيد صفرو (102) وغنمه، ووصل إلينا ونحن بموضع يقال له الفلاج. فقلعنا منه إلى بني يازغة (103)، ثم قام تاشفين من فاس وخرج لجبل العرض وميز به، وبعث الأبرتير نحو الفلاج فاجتمع به مع يحيا أغوال فقتله وحمل رأسه إلى فاس، ثم قمنا نحن لموضع يقال له بنو مكود، وخرج تاشفين ونزل بالقرمدة (104) ثم قمنا نحو غياثة (105)، وقام تاشفين لموضع يقال له النواظر، ونزلنا نحن بموضع يقال له غفرا عام ستة وثلاثين وخمسمئة، فنزل علينا الهوا

(100) زين: نهر شهير بأقليم قصر السوق ينبع جنوبى ميدلت، ويجرى من المنحدرات الخلفية لجبال الأطلس العالي ماراً بالريش وقصر السوق والرفود والريسانى والطاوس حتى يلتقى بوادى غريس فيكون وادى نهر واحد يسما وادى الداورة.

وقد بنى على وادى زين سد كبير بالمكان المسما فم الغيور، دشن سنة 1971 م.

(101) سجلماسة: حاضرة تافيلالت السابقة، توجد بقاياها على بعد 4 كلم من قرية الريسانى بأقليم قصر السوق.

(102) صفرو: مدينة واقعة جنوبى فاس على بعد 27 كلم منها، ولعله يقصد بيوم عيدما يوم عاشوراء من عام 536 هـ (10 غشت 1141 م).

(103) بنى يازغة: قبيلة موجودة اليوم بدائرة صفرو من إقليم فاس، بطونها: بنى سوغات، ومطرنافة، والربع النوفى، والربع الوسطى، من أكبر قراها قرية المنزل.

(104) المقرمدة: محلة بالقرب من وادى بو حلو بالطريق القديم بين فاس وتازة، بقربها كانت توجد قرية كرائدة (جرائدة) التاريخية.

(105) غياثة: قبيلة شهيرة كبيرة تقع بوسطها مدينة تازة، وهى تشتمل على قبيلة بنى وجان الصغيرة، وعلى بطون: أهل بو ادريس، وأهل الدولة، وأهل الواد، وأهل السدس، وبنى بو تيطون، وبنى بو محمد، وبنى مكاره، وبنى مطير، ومكاسة، وأولاد عياش، وأولاد حجاج.

خمسين يوماً بخمسين ليلة ولم يفتقر، وحملت الوديان وأكل وادى فاس باب السلسلة، وفتقت جزيرة مليلة، وأكل البحر طنجة حتى إلى الجامع، وأكل وادى سبو مع وادى ورغة أخبية لمطة، وهذا كله فى عام ستة وثلاثين وخمسمئة، وكان الخليفة أمير المؤمنين فى غياثة فى جبل يسما بعفرا. وكان تاشفين تحتنا فى النواظر، وبلغ عندنا فى ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسلط، وبلغ الحطب عند تاشفين ديناراً للرطل من شدة تلك السنة، ثم فتح الله بالغيث والخيرات.

فقلعت محلتنا إلى لكاي فنزلنا فيها وكسرنا الولجة وهزمنا منها يدغر بن ولكتوط، وقلع أيضاً تاشفين ونزل تحتنا بالجوزات متاع بنى بويغلا، ونزل الأبرتير فى بنى سلمان وأحاطوا بنا، فوحد غماره، منهم مفتاح بن عمر، وجزنا إليهم ونزلنا عند مفتاح بن عمر فى صنهاجة غدو وقلع تاشفين ونزل تحتنا فقلعنا من صنهاجة غدو إلى تازغندرا (106) متاع لجاية، وقلع أيضاً تاشفين مع الأبرتير إلى بنى تاودا فكان بيننا وبينهم الوادى متاع ورغة، فميز الأبرتير جنوده، وخرج إلينا إلى تازغندرا، وكان بيننا وبينهم قتال شديد يومين بليلتين، فمات هاؤلاء وهاؤلاء، فرجع الأبرتير إلى بنى تاودا، وقلعنا نحن إلى أودور (107)، ونزلنا بموضع يقال له تاغزوت ن ينفظت، وتبعنا الأبرتير ونزل فى بنى مزكلدة، وكان بيننا وبينه الجبل متاع أمركو (108) متاع ابن يگساس، وقلعنا نحن إلى إيلانة متاع الميزان فى موضع يقال له إيكن، فمرض لنا عمر أصناك، وقلع الأبرتير مع تاشفين إلى تهليط تحت قصر عبد الكريم (109)، وبقينا نحن فى موضعنا فى إيكن وسكنا فيه اثني عشر يوماً، فخرج لنا الشيخ عمر أصناك وهو مريض، فأخذ الخليفة أمير المؤمنين

(106) تازغندرة: قرية وبطن من بنى ابراهيم بقبيلة بنى زروال (قيادة غفساى - إقليم فاس).

(107) أودور: اسم رافد من روافد نهر ورغة، يصب فيه من عدوته إلينا أمام فاس البال (بنى تاودة).

(108) أمركو: جبل ببطن الزاوية من قبيلة فشتالة قرب ضريح مولاي بوشنا الخمار (قيادة قلعة سلاس - إقليم فاس)، بنا فوقه الرباطون حصناً متيناً لا تزال أسواره قائمة إلى الآن.

(109) قصر عبد الكريم: مدينة القصر الكبير بأقليم تطوان.

رضي الله عنه بيده اليمنى وأمر أن يضرب له قيطون فضرِبَ له ، فأخذَه عمر ونحاه عن روجه وقال لا سبيل أن أستظل أنا للظل والموحدون للشمس ، فحبس أمير المؤمنين بيده اليمنى وحبس أبو إبراهيم بيده اليسرى ووقفاه فكان بعض الموحدين ، وكانت وصيته إياهم من ضحوة النهار إلى الظهر ، وكان يأمرهم بالطاعة للخليفة ، ثم افتسرق مجلس الموحدين أيدهم الله ونصرهم وانصرف أبو حفص عمر بن علي أصناك في ذلك النهار وإلى الليل توفي رحمه الله رحمة واسعة ورحمنا بعده ، وقلعنا به إلى موضع يُسمَّى بجدار نمض ودفناه فيه ، ثم قلعنا بمحلتنا إلى أدرار ملولن فوحدَ أهله .

ثم قلعنا منه إلى تامقريت متاع أبي بكر بن سحنون ، وقلعنا من تم إلى بني سناد . ثم قلعنا منه إلى وادي لكو (IIIO) ، ونزلنا في بني سعيد عند دار كرناز بن منصور ، فامتنعوا وهربوا إلى جبل يكتل ، ثم هبط الأبرتير ونزل في تيطاوين (III) ، فوحد بنو سعيد كافة الذين هربوا وبني أيكهم ، ثم جرح يعزى بن مخلوف غازي الموحدين ومات من جرحه ودفناه في تاغزاوت متاع بني يزيد ، وقلعت محلتنا من تم وتركنا بها أبا يحيى أبا بكر بن الجبر مع بني سعيد ، ثم قلعنا إلى بني منصور والقائد ابن هيمون تحتنا في البحر بالقطائع .

ثم قلعنا إلى يكسّاس ونزلنا بموضع يسما أم يكيك ووجد بنو نال (II2) وبني زياد ، وقلعنا منها إلى آست سار فوحد أولاد حيان متاع تيزيران وبني أركدا فقلعت محلتنا إلى الثلاثاء متاع بو عريف ، فوحد تم عبد الله بن يحياتن ، وقلعنا إلى القلعة متاع بادس (II3) ، ووجد أهل الطارقية والمحفة ، وقلعنا إلى كزناية متاع تيزغت فوحد منهم ثلاثة قبائل وبقي ثلاثة قبائل .

(IIIO) وادي لكو : نهر ينبع من جبال الأخماس قرب باب تازة (دائرة شفشاون - إقليم تطوان) ويصب في البحر المتوسط عند القرية السياحية المسماة باسمه .

(III) تيطاوين : من أسماء مدينة تطوان .

(II2) بنو نال : عمارة من غمارة تسما بها اليوم قرية توجد ببطن بني بوحدون من قبيلة بني جرير ، واليها ينسب الولي سيدي عبد الرحمان الثالي دفين عدوة الأندلس من فاس .

(II3) بادس : مدينة كانت توجد بساحل قبيلة بقوة بإقليم الحسيمة ، أمامها جزيرة صغيرة تسما جزيرة بادس ، احتلها القائد الإسباني بيدرو نافارو سنة 1508 ثم استردها المنارية من الإسبان سنة 1522 ثم احتلها إسبانيا بعد ذلك ولا تزال ترزح تحت نير احتلالها إلى الآن .

وقلّع أيضاً الأبرتير مع تاشفين إلى فاس ، وخرج من فاس إلى بني سلمان والتقينا معهم في كزناية متاع تيزغت فقلعوا من تمّ خاسرين ، وقلعنا نحن وهبطنا إلى المزمة (II4) فأخذنا فيها الهواء ثمانية أيام فكاد أن يهلك الطين دوابنا فسمّاها أمير المؤمنين تاغزوت ن والوط ، فقلعنا منها إلى جبال تمسمان (II5) ، وكان كل واحد منا يرشم فيه منزله .

وفيها جاء إبراهيم إلى الخليفة أمير المؤمنين بالتوحيد ، وأعطاه الخليفة الخيل والعبيد والخباء وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر بن ييكت ، فتغايّر إبراهيم أخو الخليفة مع محمد بن أبي بكر بن ييكت فقتله محمد بن أبي بكر بن ييكت ، فمن ذلك الوقت قسمت المروس بالبندود ، فغضب الخليفة لقتل أخيه وقال يقتل ابن ييكت ، فقام له أبو حفص وأبو الحسن يوكوت بن وكتا وقال له ألم يقل المهدي بأن أهل الجماعة وصيائهم عبيدهم كل من في الدنيا ، فصمت عند ذلك الخليفة رضي الله عنه ، وفي ذلك اليوم أمر أمير المؤمنين بقسمة المروس بالبندود كل قبيلة ببندوها . وبعد ذلك خرج من عندنا عبد الرحمان بن زكو وطرق إلى مليلة (II6)

(II4) المزمة : مدينة كانت توجد قرب وادي غيس من قبيلة بني بني ورياغل (إقليم الحسيمة) غير بعيدة عن مكان مدينة الحسيمة الحالية .

(II5) تمسمان : كتبت في الأصل تمس أمان ، قبيلة تقع شرقي وادي تكور على شاطئ البحر المتوسط بإقليم الناظور ، بطونها : بني بيدير ، والربع الفوقاني ، وبني مرغنين ، وبني تعبان ، وتروكت .

(II6) مليلية : مدينة مغربية توجد بالساحل الشرقي لشبه جزيرة قلعية على بعد 14 كلم من مدينة الناظور ، يزعم بعض المؤرخين الأجانب أنها من بناء الفينيقيين ، أسست في الإسلام سنة 9 هـ على يد مليل أمير بني يفرن الذي كان مع إدريس بن صالح مؤسس مدينة الكور ، ولما تأسست الدولة الإدريسية صارت من أهم مراكز اتصالها مع الخارج واسلمها الأندلس ، ولأهميتها افتتحها الخليفة المرواني عبد الرحمان الناصر سنة 314 هـ وبنا سورها وجعل منها مقلا لموسا بن أبي العافية ، ثم تداول حكمها المرابطون والموحدون والمرينيون ، وجعل منها الأخيرون مرسا لفاس وتازة ازدهرت منه تجارة المغرب مع إسبانيا وفرنسا وإيطاليا .

وفي شهر شتنبر 1497 استولا عليها جيش إسباني بقيادة دوق مدينة صيدونية وصارت منذ ذلك الوقت نقطة من تقاطع الصراع المسلح بين المغرب وإسبانيا ، ولا يزال الوجود الإسباني بها مصدرا تهديد لأمن المغرب وسبادة وعنصر من عناصر التوتر بين الدولتين لن يزول إلا بانسحاب إسبانيا وتسليم كافة السلط التي تمارسها بها إلى الدولة المغربية .

بالعسكر فنزل عليها وكسرها ، وقلعنا نحن من تلمسان والتقينا ابن زكو ونزلنا معه في الخميس أمليل .

وقسم الخليفة رضى الله عنه الغنائم وأخذنا فيها مئة بكر ، وكن عندنا مؤنثات ، فقسمهن الخليفة على الموحدين ، وتزوجوهن ، وبقيت فاطمة بنت يوسف الزناتية وبنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة فرما الخليفة القرعة مع أبى إبراهيم على فاطمة فأخذها أبو إبراهيم وأخذ الخليفة بنت ماكسن ابن المعز أم الأمير إبراهيم والأمير إسماعيل ، وأكلنا أسماس في المهديّة متاع ابن مليح ، ثم رحلنا إلى أغبالو متاع بنى يزناسن ، وهرب أهله وامتنعوا أن يوحّدوا ، فرحلنا منها إلى ندرومة (II7) بلاد كومية فوحّدوا ، فرحلنا إلى تاجرا فميزنا فيها .

وخرج منها ثلاثة عساكر ، أولهم ابن زكو مشا إلى جهة الساحل وكسر وهران وساق غنائمها ، وخرج الشيخ أبو إبراهيم إلى ويسعد لبنى وانون وساق غنائمها ، وخرج أيضاً يوسف بن وانودين بعسكر ثالث إلى مديونة تكيزا فخرج إليه أبو بكر بن الجوهري من لمتونة ومحمد بن يحيى بن فانو من تلمسان أرادا قتال يوسف فغزاهما يوسف في خندق الجمر يسما بواى الزيتون (II8) وقتلها الاثنين ، وجاء زبرى بن ماخوخ بثقلته إلى الخليفة ووحد فدفعه الخليفة إلى غياثة فغدره بنو مكود وقتلوه وقطعوا رأسه ويديه وحملوها إلى فاس وعلقوها في باب السلسلة ، وضم الخليفة رضى الله عنه ، كومية وقال لهم أعطوني الذى أعطى أبا طاشور لمحمد بن فائو وقتله ، وأخذ الخليفة عشرة أشياخ من كومية وقتلهم ، الأول منهم يسمى بوكون تشفع فيه العجائز .

ورحلنا منها إلى تيفسرت متاع مديونة ، وطرق تاشفين مع الأبرتير ، ونزلنا في تلمسان والخليفة في تيفسرت ، فخرج من عندنا الشيخ أبو حفص

(II7) ندرومة : في الأصل اسم قبيلة من قبائل جذم كومية ، سميت به قرية شهيرة بجبال تراسة الواقعة شمال غرب تلمسان ، أهلها ذوو مروءة وكرم وجد في طلب العلم ، مساحة أرضها 2.156 هـ حولت إلى جماعة قروية بمرسوم 29 يناير سنة 1868 م ، بطولها : بنى عفان وبنى زيد ، وأهل السوق ، والخربة .

(II8) وادى الزيتون : واد يقع بين تلمسان وللا مغنية يصب في نهر تافنا .

ويصلاسن بن المعز إلى العيون متاع صاء (II9) وأصابوا تم بنى يستيس وبنى سنوس (I20) ، وبنى وردرسن وبنى ستلتن أربع قبائل فغار عليهم الشيخان أبو حفص ويصلاسن وساقا غنائمهم ورجعا إلى المحلة .

وبعد ذلك أرسل نزولة بجمعهم للأبرتير ، فخرج الخليفة إليهم وكانوا بموضع يسما بكيرس ، فنزل عليهم يوم الخميس على الحبل من فوقهم ونزل الأبرتير يوم الجمعة أيضاً عليهم من جهة أخرى ، وكان بيننا وبينهم خندق يقال له يغريت ، فنظر الأبرتير إليهم وقال هاؤلاء قوم مغبرون ، إمّا يأخذوننى ويعطونى لعبد المؤمن أو يأخذون عبد المؤمن ويعطونه لى ، ففاجأته الهزيمة فقلع عنهم إلى بعض الطرق ، وكتب كتاباً للخليفة بالنصيحة يقول له فيه أقتلهم قاتلهم الله ، غدروا باخوتهم ، فكيف لا يغدرونك ؟ فعمل لهم الخليفة آكرأو (I21) يعظهم فيه ، فقال لهم وحّدتم ؟ فقالوا له نعم ، فقال لهم إن كان ما تقولون حقاً فسوقوا سلاحكم إلينا ، فلم ير منهم شيئاً ووعظهم يوماً ثانياً وقال لهم جيئوا إلينا بأولادكم وسلاحكم ، فقالوا له نعم ، فلما كان يوم ثالث جاؤوا بأولادهم وسلاحهم وأمر الخليفة عبيد المخزن (I22) وأوصاهم أن يفرقوا بينهم وبين خيلهم وسلاحهم ، فقال لهم عبيد المخزن امشوا إلى الخليفة أن يعطيكم الدعاء ، فجاءوا إلى الخليفة يريدون الدعاء ، فلما انفصلوا عن دوابهم ركب العبيد خيولهم وأخذوا سلاحهم وأمر الخليفة فضرب الطبل وقتلهم جميعاً إلا الصبيان الصغار وسقنا غنائمهم ، فسمع الأبرتير الخبر فقال لتاشفين ميّر واتبعنى تقطع بهم وتأخذ لعبد المؤمن تلك الغنائم ، فقطع بنا الأبرتير في العيون ن آيت وريناد في موضع يُسمّى تراكوط ن تيفسرت ، وأما تاشفين فميز

(II9) عيون صا : هي قرية عين بنى مطهر (بركنت سابقاً) التي تبعد 83 كلم عن مدينة وجة في الطريق بينا وبين فكيك ، ومن هذه القرية تبع العيون التي هي بداية وادى زا (صا) الشهير .

(I20) بنى سنوس : قبيلة شهيرة مستقرة في الجنوب الغربى لجبل تلمسان ، تشتمل على ثلاث عمارات : الخسيس ، والكاف ، والعزابل ، ولكل عمارة من هذه العمارات بطون عديدة ، وقد هاجرت فرقة من هذه القبيلة إلى المغرب الأقصى صحبة عدد من قبائل المغرب الأوسط وأقطعتها السلطان أرضاً خصبة على عدوى نهر سبو شمالى مدينة فاس ، وهى هناك تعرف باسم (شراقة) أى القبائل الآتية من الشرق .

(I21) آكرأو : مجمع باللغة البربرية .

(I22) المخزن : الحكومة في الاصطلاح الإدارى المغربى القديم .

ولم يتبعنا فتقاتلنا مع الأبرتير على تلك الغنيمة وعليها مات الأبرتير ، ولم يسلم من عسكره إلا ستة نفر ، ثلاثة من الروم ، وثلاثة من بني وانار ، فأما الذين من الروم شوين وعشتون وبطريان ومن بني وانار علي بن الخنوس ، ويخلف بن الأشنطير ، ويخلف المكرطر ، وكان ذلك في عام تسعة وثلاثين وخمسمئة .

ثم قلنا من تيفسرت ونزلنا بين الصخرتين (123) بعد موت الأبرتير ، وكان تاشفين في سطفسييف (124) بمحلته ، وكان بيننا وبينه القتال في كل يوم مدة من شهرين ، فلما كان يوم من الأيام طلع الأسد متاع تاشفين ، فهرب إلينا بسلسلته وبات عندنا وعشاه الحليفة وقال للموحدين البشارة يا موحدون ، فلما أصبح رجع الأسد إلى مولاه ، ويذكر أن هازدا الأسد جاء من محلة الأشقياء حتى وصل إلى محلة الموحدين أعزهم الله ومشأ إلى بين يدي الخليفة رضي الله عنه فاستقبله ومد يديه على الأرض ، وقال الفقيه أبو علي الأشيري (125) رحمه

(123) جبل الصخرتين : هو جبل ترني المطل على تلمسان حيث ضريح الشيخ أبي مدين الغوث . وضريح الصالحة للاستي .

(124) سطفسييف : واد يجري شرقي تلمسان ويصب في نهر يسر ، يعرف اليوم بصفصيف

(125) ابن الأشيري : الحسن بن عبد الله بن الحسن الكاتب المعروف بابن الأشيري ، من أهل تلمسان ، نشأ بها وأخذ عن الأستاذ الحسن الحراز ، وبالبرية عن يوسف بن يسعون سنة 540 هـ . كان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب ، يغلب عليه الأدب ، ناطقاً ناثراً ، كان موجوداً بتلمسان أثناء حصار الموحدين لها سنة 539 هـ ولما فتحوها خرج مهاجراً إليهم مع أبي يحيى بن صمادح فقبلا ، وصار بعد ذلك من أشيعهم وأنصارهم وألف في تاريخهم كتاباً سماه نظم الآل ، في فتوح الأمر العالي .

والبيت الذي أوردته البيهقي أوردته غيره من المؤرخين مع ثلاثة أبيات أخرى هي :

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد	ورأى شبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم	فقتضوا حرككم لما وفد
أنطق الخالق مخلوقاته	بالشهادات فكل قد شهد
أنك القائم بالأمر له	بعدما طال على الناس الأمد

ولابن الأشيري مجموع في غريب الموطن ، وقف عليه ابن الأبار .

وكانت وفاته سنة 569 هـ .

تفتر ترجمته في التكملة ، لكتاب الصلة ع 718 وينظر أيضاً زاد المسافر ص 59 والحلة السيرة الجزء الثاني .

الله في ذلك الوقت مرتجلاً وكان ممن حضر ذلك المجلس المكرم (الرمل) .

فرح الشبل ابتهاجاً بالأسد ورأى شبه أبيه فقصد

وعند ذلك جاءت المحلة من بجاية وقائدها ميمون بن المنتصر ، فطلعوا إلى قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين إلى باب المدينة ، وقتلنا منهم الذي وعد الله بقتله ، فأصبحوا هاربين ، ولحق القائد ابن ميمون إلى متيجة فبعث إلى الخليفة رضي الله عنه بالتوحيد ، وقال له إن أنت استفتحت المغرب فتجني إلى المشرق تصيبه مفتوحاً وأنا قائده .

ودبر أنكمار وتاشفين وعبد الله بن أبي بكر بن ونكى وتيتلا على فلوهم من سطفسييف بعدما قتلوا ابن زكو في جبل ينوك كان بعثه الخليفة عن مواساة الموحدين ، فهجموا عليه ، وقتلوه وقلعوا إلى وهران ، ومر أبو حفص في أثرهم بشمانين ساقية ما بين الموحدين وزناتة ، فنزل تاشفين بوهران مع أنكمار ، ونزل عبد الله بن ونكى في صلب الكلب ، ونزل تيتلا بالمدينة ، فلما وصلهم الشيخ أبو حفص نزل أيضاً على عين وهران ، والكل منهم العين بالعين ، هؤولاء ناظرون لهؤولاء ، فلما أصبح أنكمار ضرب إلى الصحراء وهرب ابن ونكى إلى المغرب ، وترك تاشفين وحده هو وتيتلا ، فلما رأى أبو حفص ذلك قام بعسكره وأحاط بتاشفين وحصره وأطلق النار في باب الحصن ، فخرج عند ذلك تاشفين راكباً على فرس له كانت تسما عنده بريحانة ودفع في عسكر أبي حفص وهو هارب يريد البحر ليدخل القضايع فبينما هو سائر على فرسه إذا بحافة فتركته فرسه في تلك الحافة ومات (126) ، فلما كان النهار وجده الموحدون ميتاً في تلك الحافة وتحت فرسه ، فأخذوا فرسه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فصوره ووجه إلى تينملل بشري ليوسف بن سليمان (127) ووسنار بن عبد الله ، وأبى

(126) كان ذلك ليلة 27 رمضان عام 539 (الخميس 22 - الجمعة 23 مارس سنة 1145 م) .

(127) يوسف بن سليمان : من أهل خمسين . انظر قصة طريفة له في المعجب ص 116 طبع سلا .

عمران موسى بن الحسن ، ومحمد بن يومور ، وكسر أبو حفص وهران ومات فيهم تيتلاً ومات فيهم أصحاب تاشفين ، ما عاش منهم إلا واحد يُسمّى بسيد الملوك بن يزدعسنيت السدراتي ، وبه افتُديتُ فندة بنت علي (128) وابنتها من فاس من عند الصحرأوى .

استفتاح فاس

وقلح الخليفة رضي الله عنه من تلمسان يريد المغرب بعد توحيد المشرق كله ، فنزل على وجدات فأخذها ووجد أهلها ومات فيهم أبو بكر بن سامغين ، وقلع منها إلى أكرسيف فنزلنا عليه وكان في نظر أكرسيف ثائر قام فيه يُسمّى مصبوغ اليدين ، فخرج إليه يصلان بن المعز وموسى بن زيرى وغزواه وقتلاه وساقا غنائمه ، وقام ثائر آخر يُسمّى أبو يعلا فخرج إليه أبو إبراهيم وأبو بكر ابن ويفتين فقتلاه وساقا غنائمه ، وعند ذلك دخل الخليفة أكرسيف ومات فيه عمر بن تاكرطاست ووجد منه الحاج التكرورى الكناوى .

ثم قلح الخليفة من أكرسيف يريد فاساً ، فنزل بالمقرمدة ، فجاءه أبو بكر بن الجبر (129) بعسكر غمارة ، فقال الخليفة رضي الله عنه للموحدين : أعطونا تيطاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان هاذو الرجل فى قوة أم لا ؟ فلم يجبه أحد منهم ، فقال أبو بكر بن الجبر أنا أدريه وأعرفه ، وقرأت فيه أنا أقصده وأتعرّف خبره ، فأخذ خمسمئة من صنهاجة ، وخمسمئة من هسكورة رجالا دون خيل ، فطرق بهم على طريق الساحل ، وجاز سبو وطلع بالليل إلى زلاغ (130) وشيد على نفسه ونير بالليل النار ، فلما رآه أهل فاس ارتجوا وقالوا الخارجيتون فى زلاغ ، فخرج الصحرأوى من المدينة لقتال الموحدين

(128) فندة بنت علي : أخت عبد المومن بن علي لآبيه ، أو أخته لآمه على اختلاف الروايات .

(129) أبو بكر بن الجبر الصنهاجى : كنية أبو يحيى من أهل خصمين المستدركين بعد التمييز .

(130) زلاغ : جبل فاس المطل علىها من الجهة الشمالية ، تسكن به قبيلة لمطة .

ومعه أهل الحاضرة ، وعند خروجه قدر أبو بكر بن الجبر عسكره بألف وخمسمئة ما بين لمتونة وأهل المدينة ، فقاتلهم أبو بكر من الغد إلى العصر ، ثم رجع الصحرأوى إلى المدينة ونشر الموحدون النيران أيضاً أعزهم الله فى الليلة الثانية إلى نصفها ، ورحلوا إلى المحلة .

فلما أصبح قلح الخليفة من المقرمدة ونزل فى عين أدقّا ، وقام بها وميز الموحدين فى عدوة سبو فى عقبة البقر ، فأخذت المحلة السهل والوعر ، فخرج أهل فاس ينظرون إلى المحلة (131) المؤيدة وارتجوا ، ووقف الصحرأوى على نوك إيكران ينظر المحلة مع أهل فاس ، فارتجوا ، فلما أصبح الله بخير الصباح أمر الخليفة بالميز فميز بثمانين ساقّة ، وجازوا الوادى ساقّة بعد ساقّة ، حتى إلى منزل الحجاج وخرج الصحرأوى بخيله إلى جبل العرض ووقف عليه ، وكان بينه وبين الموحدين واد يُسمّى بسدرّواغ ، فبقوا هناك إلى الظهر ، ثم قال الخليفة للموحدين « أسافوا » فقالوا باللسان الغربى (132) « انغزّو السنّت وّرَدَمَ نَبْطَى » ، فصاحوا بأجمعهم رجالهم وخيلهم ، ثم أمر الخليفة بالرجوع إلى المحلة ووقف هو بمنزل الحجاج بثلاثة آلاف وخمسمئة حتى جوزهم ساقّة بعد ساقّة لئلا يهبط فيهم عدو الله ، ثم رجع أمير المؤمنين إلى المحلة فلما أصبح الله بخير الصباح رحل الخليفة رضي الله عنه وقسم الجيش على قسمين ، سار أبو بكر بن الجبر مع صنهاجة وهسكورة إلى نوك إيكران ، وطلع الخليفة بباقي العساكر إلى جبل العرض ، فاجتمعوا كلهم ونزلوا بجبل العرض ، وأمر الخليفة الناس بقطع الشجر فقطعت وطلعت للمحلة وعملوا منها الزرب للمحلة ، وبنا الناس الحائط خلف الزرب وأخذوا الزرب وجمعوه وقطع به الوادى وردّه الخليفة إلى السور وهدم باب السلسلة ثم نزل الوادى فلما رآ الصحرأوى ذلك خرج مع رعيته ووقف على السور حتى يسهاء .

(131) المحلة : الجيش المستقر فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم ، وعكسها الحركة أى الجيش الضارب ، وقد تسمى المحلة مجرد الجيش .

(132) اللسان الغربى : أى لغة الغرب (المغرب) وهى البربرية فى عرف الأندلسيين والمغاربة القدماء ، وكان ذلك ميل تعرب المغاربة .

ثم قال الخليفة رضي الله عنه للموحدين أعزهم الله ، أعطوني أتيظاف
يصرفون لمكناسة ، فخرج إليهم يدر بن ولكوط فقتلهم جميعاً إلا ثمانية من
الخيال ، أولهم عبد الحق بن إبراهيم ، ويخلف بن يوليين ، وأحمد بن تمكليت ،
وحسن بن يريكن ، وسعيد بن غريس ، وميمون الصغير ، وعبد الرحمان بن
يُنعمان ، وسعد الله بن زيري الهنتاتي ، فغضب لذلك الخليفة غضباً شديداً ،
وميز الموحدين في يوم جمعة ، وخرج إلى مكناسة بعسكره ، وترك على
فاس أبا بكر بن الجبر بمحلته ، من الموحدين ، فكان خروج الخليفة والموحدين
من النحلة بالليل ، ولم يعرف أهل فاس أنه خرج ، فأصبح له الصباح في
مفيلة يوم السبت ، فلما كان يوم الأحد برز الخليفة على مكناسة وكسر الحوائر
كلها إلى تآكرات (133) .

ثم طلب الصحراوي جملة من المال للجيانى فأعطاه ، فطلب له مالا
آخر وضيق عليه ، فلما رأى الجيانى ذلك بعث إلى أبي بكر بن الجبر ، فقال له
ميز عسكرك أفتح لك الباب وكانت مفاتيح الأبواب عنده ، فميز أبو بكر عسكره
فلما أصبح الله بخير الصباح فتح له الباب ودخل ولم يشعر الصحراوي حتى
رأى الموحدين على السور ، وخرج الجيانى إلى الموحدين ، وركب الصحراوي
يريد الفرار وسار إلى باب الفتوح فوجده مغلقاً ، ف ضرب طبله واجتمع عليه
بعض عسكره ، وقال لعبد خرز : إفتح لنا الباب فأخذ خرز الشاقور متاع
الخباء وضرب به رزة (134) العمود وطيرها وفتح الباب وخرج الصحراوي
وحبط إلى سبو هارباً هو وعمر بن يمينتان ويحيى بن سير وكندال ابن موسا
وشيوخ لسطة ، حبطوا مع سبو إلى بنى تاودا ودخلوا أمركو وتحصنوا فيه ،
ولم يدخل معهم الصحراوي فرعاً من الموحدين أعزهم الله ، ومضا هارباً إلى بر
الأندلس ، وبقي هاؤلاء المذكورون في أمركو فميز أبو بكر بن الجبر

(133) ظلت الحامية المرابطية تقاوم بمكناس بقيادة الوالي يدر بن ولكوط من آخر عام 540
إلى أول عام 545 تنظر تفاصيل حصارها من طرف الموحدين وفتحهم لها في الروض الهتون في أخبار
مكناسة الزيتون لمحمد بن غازي العشمانى ص 16 طبع الرباط .

(134) الرزة : يراد بها المروءة التي يدخل فيها العمود (الزكروم) الذي تنلق به الأبواب ،
وتطلق الرزة أيضاً على العمامة لاستدارتها على الرأس ، وما زالت للرزة دلالتها المذكورتان إلى الآن .

الموحدين وخرج إليهم وساقهم كلهم إلى فاس وقتلهم إلا عمر بن يمينتان ، قال
له الخليفة رضي الله عنه نها الامام المهدي رضي الله عنه عن قتل أولاد يمينتان ،
فسجنه وخلاه ، وكان استفتاح فاس عام أربعين وخمسمئة وقد مكثنا عليها
تسعة أشهر .

وقلح الخليفة رضي الله عنه مع الموحدين أعزهم الله بأجمعهم إلى
مكناسة ، وترك في فاس محمد بن يحيى الكدميوى والجيانى الذي كان استفتاحها
على يده .

استفتاح مراکش

وأرسل صنهاجة تيسغرت إلى الخليفة سنبلة وقالوا له بادر زرع
دكالة لا يدخل مراکش ولا تأخذها أبداً ، فميز أمير المؤمنين الموحدين وخرج
من مكناسة وترك عليها يحيى بن يومور وأخذ على طريق تادلا (135) فميز فيها ،
وجاء مسكورة وصنهاجة بعسكرهم وحبط بهم الخليفة رضي الله عنه على وادى أم
الربيع حتى استوا في صنهاجة أزمور ، ونزل فيه بعسكره ، وساقوا له المروءة ،
وبعث عن دكالة جيرانهم فوجدوا توحيدهم الأول .

فحبط إلى مراکش وجاوز تانسيفت (136) إلى تاقايك (137) وميز
فيها وقلع إلى إيكلين (138) وضرب عندها القبة الحمراء ، فلما سمع أهل
مراكش بذلك خرجوا لقتالهم ، وكان ذلك في عام واحد وأربعين وكان

(135) ذكر مؤرخون آخرون أن عبد المؤمن ذهب إلى مراكش بعد فتح فاس على طريق سلا
لا على طريق تادلة ، وأنه فتح سلا وتلم سورما ونزل بها في قصر ابن عشرة ومدحه الشعراء ومنهم
ابن الحمارة وذلك قبل ذهابه إلى مراكش .

(136) نسخة : وبالبربرية تانسيفت نهر يبعد عن مراكش 8 كلم إلى الشمال ويصب في
المحيط الأطلسي .

(137) تاقايك : اسم مدينة صغيرة مندثرة كانت توجد بالقرب من مدينة مراكش .

(138) كليل : جبل مراكش الشهير يطل عليها من الجهة الشمالية ، سميت به الأحياء
العصرية بها .

القتال بيننا وبينهم أربعة أيام ، كان يخرج إلينا إسحاق بن يينثان ومحمد بن حواء ومحمد بن يانكالا هاؤلاء هم سلاطينهم الظاهرون ، وكان إسحاق (139) صاحب الولاية ، وهو صبي صغير ، وخرجوا إلينا في اليوم الخامس وهزمناهم حتى إلى باب الشريعة (140) ومات منهم خلق عظيم ، فلما رأوا ذلك خمدوا في المدينة وما كان يخرج لنا منهم إلا ابن يينثان ، وأرسل إليهم أكتي سلطانهم الذي وحد وأرسل إسحاق بن يينثان بالتوحيد فخرج مع أصحابه ووجدوا ، وبقيت المدينة ما يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ، فاستعمل الخليفة السلايم للأسوار ، وقسمها على القبائل ، فسار الناس لقتالهم ، فدخلها الموحدون ، فدخل هنتانة وأهل قينمل من باب دكالة (141) بسلمهم ، ودخل صنهاجة وعبيد المخزن بسلمهم من باب الدباغين (142) ، ودخل مسكورة مع القبائل من باب يينثان (143) فاستفتحت مراكش ودخلت بالسيف ، وكان القتال على القصر حتى إلى الظهر ، ولم يدخل حتى ماتت فانو بنت عمر بن يينثان ، وكانت ذلك اليوم تقاتل الموحدون وهي في هيئة رجل ، وكان الموحدون يتعجبون من قتالها ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر ، فلما ماتت حينئذ دخل القصر ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت (144) .

(139) كان تاشفين بن علي ولا عهده ولده إبراهيم عندما يبيع عام 537 هـ ولما خرج من مراكش وذهب إلى تلمسان تركه بها خليفة عنه ، وقيل إن تاشفين لما اشتد عليه الحصار بتلمسان وذهب منها إلى وهران أرسل ابنه وولي عهده إبراهيم إلى مراكش في شهر شعبان عام 539 هـ صحبة الكاتب أحمد بن عطية القضاعي رجاعة من أعيان لمتونة وقوة حربية لحمايتها من غارات الموحدون ، ولما توفي تاشفين بوهران بعد شهر ووصل نعيه إلى مراكش بايع المرابطون ولي عهده إبراهيم وكان طفلاً صغيراً ، فخالفت عليه جماعة من قومه وولوا عنه إسحاق بن علي وهو أيضاً صبي صغير ، ودعوا له ، فوقع الخلاف بينهم والتدابير إلى أن دخل مراكش الموحدون وقضوا على دولتهم وقتلوه على الصورة التي يذكرها المؤلف ، ويخلط المؤرخون كثيراً بين إبراهيم بن تاشفين (أبو إسحاق) وبين عمه إسحاق بن علي (أبو إبراهيم) بسبب تشابه الأسماء والكنى .

(140) هو باب الخميس الحالي .

(141) باب فتح في سور مراكش الشمالي الغربي .

(142) هو باب الدين الحالي .

(143) أي باب هنتانة وعرف أيضاً بباب هيدانة أو باب يلان ، يقع في السور الشرقي

جنوبي باب الدين .

(144) فتح الموحدون مراكش يوم السبت 22 مارس سنة 1147 م (17 شوال عام 541 هـ) وقد نقل ابن عذارى في البيان المقرب عن البيهقي أخبار فتح مراكش مع مخالفة بسيرة في اللفظ .

فلما دخل القصر وحملوا منه السلاطين إلى إيكيليز وأخرجت العامة متاع الحاضرة إلى باب الصالحة (145) وقتلهم أبو الحسن بن واكث ثم رجع إلى إيكيليز وقتل فيه أولئك السلاطين ولم يبق منهم إلا أبو بكر بن تيزمت وإسحاق وغلامه طلحة ، وكان إسحاق يتضرع للخليفة ويقول له يا أمير المؤمنين ما لي في الرأي شيء ، فيقول له طلحة اصمت عنا هل رأيت ملكاً يتضرع لملك مثله ، فقال أمير المؤمنين لأبي الحسن اترك هاؤلاء الصبيان ما الذي تعمل بهم ، فصاح أبو الحسن وقال في صيخته : ويوا ويوا الموحدون ! ارتد علينا عبد المؤمن ، يريد أن يربّي علينا فراخ السبوعة ! فقام الخليفة غضباناً وتبعه الموحدون إلا أبا الحسن والشيخ أبا حفص ، فاخذ أبو الحسن إسحاق وضرب عنقه (146) ثم جذبوا طلحة ليقتلوه فقال ياعمى أبا الحسن سلاحي ما الذي تفعل به عسا أن أعطيه لك ، فأطلق من تكتيفه ليعطي السلاح ، وكان الخنجر في وسطه فضرب به أبا الحسن وقتله ومات ومات طلحة من بعده ، وكان أبو الحسن حينئذ قد كتف من دكالة ألف رجل ليقتلهم ، وقال إذا قتل طلحة أقتلهم ، فلما قتل طلحة أبا الحسن أطلق دكالة ولم يمت منهم واحد .

وأخذوا أبا بكر بن تيزمت ورفعوه لأمير المؤمنين ، وقالوا له ألم تعرف يا أمير المؤمنين بأن أبا بكر بن تيزمت خادم علي بن يوسف ومشاوره ؟ فقال لهم الخليفة أعرف ذلك (147) فقال له فلأي شيء أموت ؟ قال الخليفة تموت لأنك رميت يدك في المهدي رضي الله عنه وحملته إلى السجن ، قتلته السنة ، قال له : إذ أموت ولا بد أقول لك مسألة ، قال له الخليفة قل ، قال عندي

(145) باب الصالحة : هو باب القصبة أو باب المخزن كما يسميه ابن فضل الله العمري ، سمي بذلك لوقوعه قرب جنان الصالحة الشهير .

(146) نقل صاحب كتاب الحلل الموشية ص 114 وصف مقتل إسحاق بن علي عن البيهقي ، وهو ثالث مؤرخ مغربي ينقل عنه فيما أذكر .

(147) يظهر أن بعض الفقرات سقطت من النص الأصلي ، وفي البيان المقرب لابن عذارى (3 . 24 طبع تطوان) نقلاً عن البيهقي أن أبا بكر بن تيزمت قال لعبد المؤمن : ألم تعلم أنني خصم لملي بن يوسف ؟ قال له : أعلم ذلك ، فقال له : فلأي شيء تقتلني ؟ ألح وماكدا يستقيم الكلام .

برمتان من مال كلها ذهب يأخذها الموحدون لأنى أخاف أن أموت وأحاسب عليها فأعطني أمناً أريها لهم ويحملوها ، فاختار أمير المؤمنين من قبائل الموحدين اثنين من كل قبيلة ، فسار الرجل مع اثني عشر من الأمناء وكان في يده سكين الغدر ، فجاء معهم إلى الدار والمحلة في ايكليز ، ودخل معهم الدار وسدها عليهم وأعطاهم الفيسان باش (148) يحفروا فخلاهم حتى اشتغلوا بالحفر فرد يده على سيف الغدر فقتلهم به ، ولم يسلم منهم سوا واحد مرء من طاق المصرية (149) وهرب إلى ايكليز ، فعرف الموحدون بالخبر وأخبروا به الخليفة ، فسار الموحدون أعزهم الله ودخلوا عليه الغرفة وجروه إلى ايكليز فقال له أمير المؤمنين رضى الله عنه هاذا فرش وغطاء أفنا الموحدين ، اقتلوه فقتل .

وبقيت مراکش لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة أيام ، وكانوا يتشاورون على سكنها ، فامتنع الموحدون أن يسكنوها ، فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها ؟ فقال لهم الموحدون امتنع المهدي من ذلك ، ولا سيما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها ولا تحريف لأمة محمد عليه السلام ، والتشريق والتحريف لغيرها من اليهود وغيرهم ، فقال الفقهاء تطهر وتسكنونها ، فقالوا لهم وما تطهيرها ؟ فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنا جوامع أخرى ، فهدمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريقها عن القبلة وإمالتها إلى المشرق ، وهدم فيها جامع علي بن يوسف ولم يهدموا كله بل مدموا بعضه ، وأرسل الأمناء إلى المدينة مع الوزير ، وكان السبي يضمنون للمخزن أمناه الله ما كان من الحلي والقش والسلاح وما كان بالمدينة كلها رُفع للمخزن وابتيع النساء ، ورجع كل شيء إلى المخزن ، وحينئذ دخل الخليفة رضى الله عنه البلد وقسم أزقتها بالمروس للموحدين فسكنوها شهراً .

(148) الفيسان : جمع عاسي لكلمة فاس ، وباش حرف تعليل في العامية المغربية مثل كى في الفصحى ، وتكون أداة استفهام ، وهى حينئذ معرفة عن أصلها العربى (بى شى . ؟) .

(149) الطاق : والمطاعة أيضاً : الكوة ، النافذة الصغيرة ، عربية ، والمصرية دار صغيرة فوقية تبني فوق الحوانيت أو مداخل الديار ، لعل هندستها نقلت إلى المغرب من مصر فنسبت إليها .

وقام علينا نائر في كزولة يسما عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكندى ، فارتد معهم حاجة بعد توحيدهم مع رثاثة وهزميرة وهسكورة الوطاء مع دكالة مع بني ورياغل ، وكان نسب هذا العدو من سلا ، وارتد أهل سبتة وطنجة وأهل المرية ، فخرج إلى عدو الله من الموحدين ابن يكتيت بأهل سوس وهزمهم عدو الله ، ثم خرج إليهم الشيخ أبو حفص بالعسكر ومشى إلى هزميرة وهزمهم وبدد شملهم ومضى إلى كزولة وهزم عمر بن الخياط وقتله وساقه على بغل وصلب على باب الشريعة ، ثم خرج أبو حفص مرة أخرى إلى هسكورة وكانوا في آمان ملثوثين فهزمهم أبو حفص وبدد شملهم وساق غنائمهم وبناتهم ، فيهن بنت توندوت فلم يبعثن ، ثم خرج أيضاً أبو حفص إلى برغواطية والتقا معهم فهزموه وأخذوا الثقلة ، فهبط أبو حفص بأولاده إلى تادلا وجدد عسكره ومشى إلى مكناسة ونزل عليها وحصرها .

وجاء الصحراوي من ذلك البر بعد هروبه ، أرسل وراءه أهل سبتة فجاءهم ثم جاء علي بن عيسى الموحد صاحب البحر بالقطائع وحصرهم في سبتة ، فخرج إليه الصحراوي من المدينة ، وقال له أريد أن يكون توحيدى على يدك يا أبا الحسن ، قال نعم وكان يسارره حتى أنشسه فقال له أحملك إلى الخليفة ، ثم رجع الصحراوي إلى المدينة ورجع على بن عيسى أيضاً إلى القطائع ، فلما كان غداً خرج يحيى أيضاً وأشار عليه علي بن عيسى فجاءه يحيى فهبط علي من الغراب وأراد الجلوس معه فقرأ علي في وجهه يحيى الغير (150) وأراد أن يرجع إلى الغراب فرما عليه يحيى حصانه فضره بالرمح فوصل بين الكتيفين حتى نفذه ، وأخذ غلام الصحراوي فجره إلى سبتة ، فأخذه الصحراوي وصلبه في برج المدينة ، وخرج الصحراوي منها إلى طنجة فقرأها حريجة وقال ليحيى بن تايشا إجلس موضعك هناك الله فيه ، وكان يحيى من الملتسين ، ثم رجع الصحراوي إلى سلا فأصاب فيها الخياط والد النائر المذكور فوجده على غير الاستقامة معهم ، فأخذه وضرب عنقه ، ورماه في البحر ، وفيئاً فنزارة الذين أطاعوا الخياط ، وخرج الصحراوي من سلا بجنده يريد برغواطية ،